الفصل الثالث

مفهوم الشتات اليهودي

في المنظورين الصهيوني والإسرائيلي

المبحث الأول: الرؤى الصهيونية للشتات اليهودي

لو عدنا إلى الوراء، واستعرضنا أفكار وحلول رموز اليهود وقادتهم في الشتات لما سمى بـ«المشكلة اليهودية»، أو «المسألة اليهودية»، ووقفنا عند كتاب «تسفى هيرش كاليشر» (١٧٩٥ – ١٨٧٤)، وهو «البحث عن صهيون»، نرصد فيه دعوته إلى أن «حل المشكلة اليهودية يكون عن طريق تهجير اليهود إلى فلسطين، أو غيرها من البلدان، لأن معاداة السامية» لا يمكن أن تزول طالما أننا اليهود لا نملك وطناً قومياً خاصاً بنا. واعتقد أن كراهية اليهود واحتقارهم شعور أصيل في النفس البشرية. وإذا كان «كاليشر» قد تأثر بدوافع دينية، إلا أنه رأى أن خلاص اليهود لن يتم على يد مسيح منتظر، بل عن طريق جهودهم الذاتية»[1].

ومن خلال ما جاء فى دعوة «كاليشر» نرى أن المقصود هو أرض لتحقيق ما رآه حلاً لتجميع اليهود، فلم تكن فلسطين وحدها هدفاً قومياً أو مقصداً دينياً كما برر زعماء الصهيونية فيما بعد، وأطلق علي استعمار فلسطين، وتهجير يهود الشتات إليها ... العودة.

واستمر الخلاف حول المكان فأصدر «ليوبنسكر Leo Pinsker» (١٨٢١ –

(١) فهمى، وليم: الهجرة اليهودية إلى فلسطين، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٧٤، ص ١٨، نقلا عن عبد الوهاب كيالى، المطامع الصهيونية التوسعية، مركز الأبحاث التابع لمنظمة التحرير الفلسطينية، بيروت، ١٩٦٦، ص ١٥-١٨.

١٨٩١) نشرته التحرر الذاتى « »Auto Emancipation باللغة الألمانية، في عام ١٨٨٢، محورها أن تحرر اليهود يجب أن يتم بالاعتماد على أنفسهم، وأن يكونوا أمة في أرض خاصة بهم، وأن تجمع بينهم لغة وعادات مشتركة. واختلف اليهود الروس حول المكان الذى يهاجرون إليه، وهل توجه الهجرة إلى العالم الجديد أو إلى فلسطين؟ وفضّل بنسكر فلسطين مقترحا أن يتم الحصول على إذن من الحكومة العثمانية، وجذبت «بنسكر» حركة «محبى صهيون»، واختير رئيساً لأحد فروعها، وهذا جعله يرى أن تقام أمة اليهود المقترحة في فلسطين»[١].

«يعتبر «هيرتزل» المسئول الأول عن تحويل أمانى «العودة» إلى صهيون من هدف دينى إلى هدف سياسى، كما أدخل فكرة الهجرة إلى يهود الغرب الذين كانوا يسيرون في طريق الاندماج مستفيدين بعوامل التسامح. وبينما لم يحدد «بنسكر» الوسائل التى يحقق بها أفكاره النظرية، واكتفى بأن ساند جمعية «محبى صهيون»، فإن «هيرتزل» حدد هدفه، وأراد أولا أن يجد «الأرض» في أى مكان، ثم تقام بعد ذلك دولة اليهود، بعد انتهاء المفاوضات الدبلوماسية وسائر الخطوات التمهيدية، وذلك عن طريق الهجرة الجماعية، والاستيطان الواسع النطاق»[٢].

وفي مرحلة لاحقة اقترح «هيرتزل» أوغندا لتكون هى الوطن المقترح لحل المشكلة اليهودية ، ولاقى هذا الاقتراح تأييداً من أقوى الأجنحة الدينية بالحركة الصهيونية، وهى «حركة مزراحى»، حيث كانت أوغندا اقتراحاً بريطانيا يمنح الصهاينة امتياز التواجد على أرضها، ومن هنا حدث التقارب بين موقف هيرتزل ونظرية الصهيونية السياسية الخاصة به وبين زعامة المزراحي .

« وبرز هذا التقارب في المواقف في قضية «أوغندا»، وكذلك في قضية «الثقافة»، وفي قضايا أخرى، وهو يعكس تعاطف المزراحي مع صهيونية هرتزل السياسية، ونقصد بذلك الاتجاه الذى يعتبر أن ضائقة اليهود في الشتات هي المصدر الأساسى الذي

(١)المرجع السابق، ص ١٩ نقلاً عن: Kohn, Hans: Zion and the Jewish national idea repented textually, the menorah journal ,1958. collected essays on Palestine international seminar on pal 1965, p57

(٢)فهمى، وليم: المرجع السابق، ص ٢٠ .

استمدت منه نظريتها الصهيونية، وأن حل هذه الضائقة يتمثل في إيجاد ملاذ آمن لليهود في فلسطين عن طريق العمل السياسي الذى يسعى إلى الفوز باعتراف دولى لحقوق اليهود في فلسطين، وفضَّل أنصار الصهيونية السياسية كغيرهم من الصهيونيين الآخرين، فلسطين كملاذ آمن لليهود . ولكن بعد أن أدركوا المخاطر الناجمة عن صعوبة الفوز باعتراف دولى بمطالب اليهود في الهجرة والاستيطان في فلسطين، انضم كثير من الصهيونيين السياسيين إلى هيرتزل في إظهار الاستعداد من جانبهم بدراسة الاقتراح البريطانى الذى يدعو إلى منح الاتحاد الصهيونى امتيازاً في أوغندا»[1].

وبالإضافة إلى «أوغندا» وما أثير حولها قبل فلسطين ، هناك أيضاً «كندا» كبديل لفلسطين «وذكرها له دلالة معينة، في الوقت الراهن، وهى تفضل أماكن أخرى أكثر أمناً وأماناً لليهود بخلاف فلسطين التى لم ولن تكون ملاذاً آمناً لهم »، ولو أن كندا وردت من خلال نكتة، ولكن لها دلالة «ومن أكثر النكت دلالة تلك النكتة العبثية التى أطلقها «يعقوب أجمون» المسئول عن حفلات الذكرى الأربعين لتأسيس إسرائيل، إذ يقول: «إن المشروع الصهيونى كله يستند إلى سوء فهم وإلى خطأ، إذ كان من المفروض أن يتم في كندا بدلاً من فلسطين، يرجع هذا إلى تعثر لسان «موسى التوراتي»، فحينما سأله الإله أى بلد تريد؟ كان من المفروض أن يقول كندا على التو، ولكنه تعلثم وقال . كاكاكا . نانانا . فأعطاه الإله « أرض كنعان» أى فلسطين بدلاً من كندا، فهاج عليه بنو إسرائيل وماجوا وقالوا له : «كان بوسعك أن تحصل على كندا بدلاً من هذا المكان البائس الخرب، هذا الوباء الشرق أوسطى الذى يحيط به الرمال والعرب».

والنكتة هنا تعبر عن إحساس عميق بالورطة التاريخية، وبالطريق المسدود الذى يؤدى إلى العدمية الكاملة، ونجد الإحساس نفسه في هذه القصيدة التى خطها مستوطن صهيونى على حائط دورة المياه في الجامعة العبرية - ليذهب السفاراد إلى – أسبانيا، و الإشكناز إلى أوروبا، والعرب إلى الصحراء، ولتعد هذه الأرض إلى الخالق، فقد سبب لنا من المتاعب الكفاية بوعده هذه الأرض لكل الناس، والقصيدة مثل نكتة أجمون تعبر

(١)شاييرا، انيتا: الصهيونية الدينية، مدخل تاريخى، ترجمة: محمد محمود أبو غدير، تقديم أ.د/ محمد خليفة حسن، مركز الدراسات الشرقية(٣)، القاهرة، ١٩٨٩، ص١٢٠ـ ١٢١ .

تعبيراً فكاهياً عبثياً عن رفض فكرة الوعد الإلهى التى يستند إليها الخطاب الصهيوني»[1].

وعليه لم تكن فلسطين هى الحل الوحيد الصهيونى بدعوى الارتباط الروحي، والحق التاريخي، وأرض الميعاد .. وغيرها، من الأساطير الصهيونية .. بل كان الهدف هو أرض .. أية أرض .. يقول «موسى هس» فى كتابه «روما والقدس» « إننى أشعر كيهودى أننى أنتمى إلى شعب بائس، سيئ الحظ، مختصر، مشتت بين أمم العالم. إن اليهود فى بعض البلاد يهربون من يهوديتهم. وفى ألمانيا يحاول اليهود أن يخلعوا عنهم كل ما يشير إلى أنهم يهود. والشعوب الأوروبية كلها تشعر أن اليهود غرباء عندهم. وسيظل اليهود دائماً غرباء بين الأمم. وحول المسألة نفسها يقول ليوبنسكر فى كتابه «التحرر الذاتى» «يجب أن نجد وطناً لهذا الشعب حتى نكف عن التجوال فى العالم. وليس من الضرورى أن نحلم باستعادة أرض يهودا القديمة. فلا داعى أن نربط أنفسنا بالمكان الذى تحطمت فيه حياتنا السياسية وتوقفت، ليس من الضرورى أن يكون هدفنا استعادة الأرض المقدسة، وإنما من حقنا أن نطالب بأرض، أية أرض، أى قطعة من الأرض تكفى لإخواننا من البؤساء، قطعة أرض تكون ملكاً لنا، ولا يستطيع أحد أن يطردنا منها»[2].

ومع قيام الدولة، في عام ١٩٤٨م، لا تزال الحركة الصهيونية تواجه قتالاً عنيفاً وشرساً للدفاع عن مبادئها وأفكارها، التي أثبتت ظروف الواقع فشلها بين صفوف المهاجرين من الشتات على مختلف انتماءاتهم وثقافاتهم التى وفدوا منها من شتاتهم، علاوة على محاربتها منذ البداية من تيارات يهودية مختلفة تطعن فى صلبها، وأساسها، وعدم شرعية مبادئها، وخاصة من الناحية الدينية. ولكن مع استمرارها فى تنفيذ مخططاتها العنصرية والمتطرفة التى تعتمد على جلب موجات الهجرة من الشتات،

(١)المسيرى، عبد الوهاب (دكتور): «مائة عام على المشروع الصهيونى» (٩) أرض عطشى للدماء، الأزمة الصهيونية من منظور صهيونى، مركز الدارسات السياسية والإستراتيجية، دراسات الأهرام، القاهرة، ٧/ ١٠/ ١٩٩٧، ص٤.

(٢)هيكل، محمد حسنين: المفاوضات السرية بين العرب وإسرائيل، الكتاب الأول، الأسطورة والإمبراطورية والدولة اليهودية، القاهرة، ١٩٩٦، ص٦٤ـ ٦٥.

بحجة إعمار «الأرض الموعودة الخالية»، وفى المقابل التغاضى عن وجود شعب فلسطينى مقيم على أرضه. ومن هنا استباحت عنصريتها إبادة هذا الشعب، ومحاولة صهر هؤلاء المهاجرين ومحاولة خلق ألفة بينهم وبين تلك الأرض المسلوبة، إلا أن الواقع يكشف عن فشل مخططات الصهيونية فى توحيد الهويات والثقافات، حتى اللغة العبرية لم تكن هى الوحيدة، حتى الآن، على لسان المهاجرين. فالواقع داخل المجتمع الإسرائيلي يصرخ فى كل لحظة، ويفرز التنافر بين الطوائف المختلفة، وتبرز الصراعات والفوارق على السطح، فكل طائفة لا تزال تلهج وتنهج فى حياتها الجديدة بخطى متعثرة مع سيطرة أسلوبها الشتاتى، وعدم توافقه مع الحياة الجديدة، فالشرقي لا يزال متمسكاً بمبادئه وتقاليده الشرقية التى عاشها فى شتاته، في مقابل عادات وتقاليد مهاجرى الشتات الغربي، والفروق واضحة تعلن عن نفسها، ولا يزال هناك حنين للموطن الشتاتى الأصلي، سواء في الغرب أو الشرق.

ويدعى «أفراهام شتال»، أن مظاهر الظلم الحقيقى التى يمكن دراستها وقياسها كمياً هى فحسب، طرف النهر الجليدى : الذى يمكن أن يرمز إلى التوترات الطائفية فى إسرائيل (أفراهام شتال: توترات طائفية فى شعب إسرائيل – تل أبيب – ١٩٧٩)، جزؤه الأكبر مختبئ تحت الماء، وهو موجود فى الآراء المسبقة، ويصف يهوشوع بريوسف السفاراديم. الذين تعفنوا جسدياً وروحياً بقوله: «سفارادية جماعية قذرة، ويدعى «حييم هزاز»: «أننا لسنا شعباً واحداً وأننا نسير إلى الهاوية، لأننا نتجه إلى الثقافة الشرقية السطحية»[١].

ويقول الحاخام «يسرائيل أنجلر»، رئيس تحرير المجلة الأسبوعية «همحنيه هحريدى»، (المعسكر الحريدى) «نظرياً، نحن شعباً واحداً، وعملياً نحن لسنا شعباً عامة، إذ ليس ثمة أساس شامل للشعب اليهودي كشعب، ليس لدينا لغة واحدة، ولا عقلية واحدة، ولا منشأ واحد، والأساس الوحيد الذي أبقى الشعب اليهودي لآلاف الأعوام هو الإيمان بتوراة سيناء، بوصفه دستوراً ملزماً. ومنذ اللحظة التى بدأ الشعب

(١)مناحم، ناحوم: توترات وتفرقة طائفية فى إسرائيل (ملاحظات اجتماعية تاريخية)، رمات جان، مطبعة أحدوت يولى، تل أبيب، ١٩٨٣، ص ٦٥

ينشطر إلى شعوب عديدة ومتعددة ، الصهيونية هى حركة واحدة فى صفوف شعب إسرائيل، مثلما كان الشيوعيون حركة واحدة فى روسيا، واليوم فإن الصهيونية أيضاً، لاتوحد الشعب كله ، وهكذا يعنينا من دون دين، ومن دون قومية كعنصر توحيد، وطريقة العيش المشترك الوحيدة هى طريق السلام بين خليط الشعوب الذى يقطن هذه الأرض، حيث تعيش الشعوب بسلام أحدها إلى جانب الآخر، لا أحدها مع الآخر، في ظل علاقات من الاحترام المتبادل والإرادة الطيبة»[1] .

ويستمر «الحاخام أنجلر» فى نقده للدولة مبرزاً ما فيها من تناقضات كفيلة بأن تقوض كيانها أو تتحول إلى حرب أهلية بين مختلف الطوائف الوافدة من مختلف دول الشتات، مع اختلاف توجهاتها، ما بين الدينية المتشددة والعلمانية، وما يدور من صراعات بينها تعوق الصهر والتوافق فى بوتقة واحدة. فيقول: « إن دولة دستورها بريطاني وتركي، ليست دولة يهودية، إنها فى أحسن الأحوال دولة يهود. وحتى هذا الأمر ليس واضحاً ، إذ يعيش هنا أكثر من مليون عربى، ومئات الآلاف من المهاجرين الأغيار والعمال الأجانب ... كيف ستتطور الأمور؟ هذه المسألة سياسية ، وأنا أصلى من أجل ألا تنشب هنا حرب أخوة. إن المنتصرين لن يكونوا المتدينين ولا العلمانيين، وإنما العرب فى نهاية المطاف ، سيكون هنا كما اعتقد ، فصل بين الدولة والدين ، وكذلك بين الدولة والقومية»[2].

ويقول «شلومو بن عامى» (مؤرخ وعضو كنيست علمانى): «ثمة تفتت فى المجتمع الإسرائيلي يبعث على القلق ، إذ ينمو هنا مجتمع مجزأ، يتكون من أقليات كثيرة، ليس الجمهور الحريدى إلا إحداها. وخلافاً لما يجرى فى المجتمع الأمريكى، فإننا لم نجد روح الشعب التى تضم الجميع، وهذه مأساتنا. إن صورة الدولة التى نريد تختلف من شطر فى الشعب إلى شطر آخر. فالحريديون ينظرون إلى الدولة على أنها لا لزوم لها. وبما أنها قائمة فإنهم يقاتلون من أجل طابعها اليهودي، ويستخدمونها أداة لتعزيز قوتهم ...

(١)أنجلر، يسرائيل: (حاخام ورئيس تحرير المجلة الأسبوعية: همحنيه هحريدى): تحت عنوان المتدينون والعلمانيون على الخط الفاصل، آراء فى المسألة، لأكاديميين وحاخامين وكتاب، مجلة الدراسات الفلسطينية (٣٠)، ١٩٩٧، ص ١٢٧ .

(٢)المرجع السابق: ص ١٢٧، ١٢٨.

ويمكن للدين أن يجزئ المجتمع، ويؤدى إلى نشوب حرب أخوة»[1].

ويخلص «خالد عايد» فى مقال له تحت عنوان «المتدينون والعلمانيون فى إسرائيل .. جدل الوحدة والصراع»، إلى أن «التجربة الاستيطانية الصهيونية فى فلسطين فشلت، حتى الآن، في أن تكون «بوتقة الصهر» للمهاجرين اليهود القادمين من كل حدب وصوب (الشتات)، لكن هذه التجربة أفلحت حتى الآن أيضاً، في إنتاج تجمع استيطانى فسيفسائى الأصول العرقية والمنابت الأيديولوجية.

وإذا وضعنا جانباً المبالغات الصحافية المعتادة بشأن حرب أهلية وشيكة بين المتدينين والعلمانيين، فإن لا شئ يبرهن فى هذه التجربة عن أن المستقبل سيكون مغايراً بصورة جوهرية لما كان عليه الماضى فى أمر العلاقة بين الطرفين: انقسام فى إطار «الهوية المشتركة»[2] [3].

وتكثر الاختلافات، والانقسامات، والفوارق، بين طائفية، ودينية، وعلمانية، وما يستتبع ذلك من فوارق ثقافية ترجع لبلاد المنشأ الشتاتى، قبل الهجرة، وتستمر وتزداد داخل الكيان الصهيوني، بعد قيام الدولة، وحتى الوقت الراهن، في خلق صراعات حادة بين تلك الفئات، أمثال المتدينين والعلمانيين، وربما داخل فئات المتدينين أنفسهم، ناهيك عن الاختلافات اللغوية، وتقسيمات التعالي والهيمنة من قبل الاشكنازيم» تجاه الآخرين.

---

(١)عامى، شلومو: (مؤرخ وعضو كنيست علمانى) المتدينون والعلمانيون على الخط الفاصل .. آراء في المسألة لأكاديميين وحاخامين وكتاب، مجلة الدراسات الفلسطينية (٣٠)، ص ١٢٩.

(٢)عايد، خالد: إسرائيليات، المتدينون والعلمانيون فى إسرائيل .. جدل الوحدة والصراع . مجلة الدراسات الفلسطينية (٣٠)، ص ١٢٥.

(٣)الحريديم: من المعتاد التفريق بين قطاعى السكان الدينيين فى إسرائيل. الأول: هو القطاع الحريدى الذى يعتمد على الماضى كمصدر شرعية وعداء للصهيونية، وإيديولوجية القومية اليهودية (أى أيديولوجية) ترى اليهود شعبا يعرف بناء على جوهره القومى وليس بناء على جوهره الديني، ويتطلع إلى تطبيع الحياة اليهودية (الثانى مرتبط بالوعى العام مع (جوش إيمونيم)، وهم قوميون متطرفون يمارسون العنصرية والاستعلاء، والاستيلاء على الأراضى العربية، والتوسع فى انتظار مقدم المخلص(يديعوت أحرونوت) ٦/ ٧/ ١٩٨٩، يشعياهو ليفمان. مجلة زمانيم، خريف ١٩٩٤ ، مركز الدراسات السياسية والإستراتيجية. مختارات إسرائيلية (٥٣)، ترجمات عبرية، دراسة الدين والديمقراطية بإسرائيل، مايو ١٩٩٩، ص ٤.

« وينقسم المتدينون أنفسهم انقساماً عميقاً بناء على أكثر من تصنيف، فهم يتوزعون أيديولوجياً بين حريديين متزمتين، ومحافظين على التقاليد، ومجرد متدينين وإصلاحيين. وأما من الناحية العرقية فيمكن تمييز أربع مجموعات بينهم على الأقل. فقد توصلت دراسة أجريت مؤخراً على الإشكناز، والسفاراديم، والأثيوبيين القدامى، والمهاجرين الجدد من الإثيوبيين، إلى أن علاقة القربى والجوار الجغرافى فى بلد المنشأ (الشتات) أوثق من علاقة التشابه فى التعبير الديني، أما التمثيل السياسى للأحزاب الدينية فى الكنيست فإنه يتوزع حالياً بين المفدال (الصهيونى الدينى)، وشاس (الحريدى الشرقى اللاصهيونى)، ويهدوت هتوراه (الحريدى الإشكنازى اللاصهيونى) [١] .

«يدور الخلاف بين المتدينين والعلمانيين اليهود فى جوهره بشأن طابع الدولة : أتكون دولة قوانين وضعية أم دولة الشريعة اليهودية (الهالاخاه)؟ ويتناول هذا الخلاف فيما يتناول : قانون العودة / من هو اليهودي؟ وقوانين الأحوال الشخصية (الزواج – الدفن – الإجهاض – التهود ...) وقانون الآثار. وصلاحيات محكمة العدل العليا، والكشيروت (الأطعمة المحللة دينياً)، وإعفاء الفتيات، وخريجى اليشيفوت من الخدمة العسكرية، وحرمة أيام السبت، والأعياد الدينية ، ونوعية التعليم (ديني أم علماني)، وما إلى ذلك»[٢].

«إن دفع من ترى اليهودية الصهيونية الدينية فيهم تعبيرات العلمانية الهرطوقية (اليسار) إلى هوامش الكراهية هو من الإخفاقات الكبرى التى عرفها التاريخ اليهودي فى الحقبة الأخيرة، وسيشير الكثيرون بالتأكيد إلى أن «اليسار أيضاً، ساهم بنصيبه فى إنتاج الغربة الثقافية، وفعلاً ثمة فى أوساط اليسار من يستأنسون بالعرب أكثر مما يستأنسون بيهود متدينين. إلا أنني أريد أن أسير على هدى المبدأ القائل: «إن إصلاح بيتى يسبق دعوتى الآخر إلى إصلاح بيته»[٣].

(١)عايد، خالد: المرجع السابق؛ وكذلك: Linda Begely Sorrof: The Maintenanceand transmission of Ethnk Identity : a study of four groups of religious Jews in Israel clanhamimd: university press of America 1995, P 183.

(٢)عايد، خالد : المرجع السابق، ص ١١٨ .

(٣)جرينفالد، إيتمار: ثقافة التقاطب بين مدينتين القدس وتل أبيب، مجلة الدراسات الفلسطينية (٣٠)، ص١٣٦، ١٣٧.

ولما كانت الصراعات والتوترات تنخر فى صلب الكيان الصهيونى من داخله، وهناك التخوف من نشوب حرب أهلية قد تدمر الكيان نهائياً، فإن صانعى القرار فى إسرائيل يضعون ذلك فى مقدمة اهتماماتهم بالنسبة لإصلاح الداخل فى مواجهة الخارج، وعلى الدوام هناك الحل الأمثل عندهم، وهو توحيد جميع الصفوف تجاه الكوارث العامة. فعندما تفشل إيديولوجيات الصهيونية بدق نواقيس الخطر المتعلقة بالإبادة، والهولوكوست، والشتات ، فإنهم يدقون طبول الحرب لحل تلك المعضلة.

«إن التضامن المشترك مع المشروع الصهيونى ينهار باطراد. ففى أوساط المتدينين القوميين يتعزز الالتزام الدينى تجاه «أرض إسرائيل»، وهو التزام غير مقبول لدى الجمهور العلمانى، مقاربة ما بعد الصهيونية التى تشدد على الحياة الطبيعية للفرد، وعلى إنجازاته الشخصية. وهنا أيضاً، تتقلص بصورة متزايدة التخوم التى عليها إجماع قومى. وفى وضع يتميز بوجود تجزئة وفجوات كبيرة بين الهويات القومية والدينية، وبين الهويات القومية والعلمانية تزداد التوترات، لكن «الحرب» كلمة قاسية جداً. نحن الآن بحاجة إلى منعطف، ويجب العمل من أجل توسيع القاعدة المشتركة. ويمثل المتدينون المعتدلون والمحافظون على التقاليد الدينية من غير المتدينين، أحد عناصر الاعتدال، ولا سيما أولئك الذين من أصل شرقى، وقد تبنوا لأنفسهم التزاماً دينياً، أو تقليدياً معتدلاً ومتسامياً أكثر مما لدى جزء كبير من الجمهور المتدين أو العلمانى ذى المنشأ الإشكنازى»[1].

وهناك العديد من القضايا التى تشغل الشارع الإسرائيلي وفكر صانع القرار، وخاصة محاولة الظهور بمظهر القادر على الحل، والسيطرة أمام الشتات اليهودي، مصدر الدعم وأولى هذه القضايا، تعريف اليهودي. ففى الوقت الذى يشدد يهود الداخل، والمتدينون منهم بشكل خاص، على البعد الدينى لهذا التعريف فى الانتماء والسلوك، يرى العلمانيون ومعهم يهود الخارج (الشتات) فى الولايات المتحدة حيث الجالية الأكبر فى العالم، أن اليهودية انتماء إلى الدين، والتاريخ، وإلى الحضارة، دون أن تكون بالضرورة

(١) هليفى، حافا عتسيونى (أستاذة وعالمة اجتماع متدينة) جامعة بار – ايلان : المتدينون والعلمانيون على الخط الفاصل، آراء فى المسألة لأكاديميين وحاخامين وكتاب. إعداد: عبريت همشيرى، مجلة الدراسات الفلسطينية (٣٠) مؤسسة الدراسات الفلسطينية، (بيروت ١٩٩٧) ص١٣١.

محاربة لتعاليم التوراة، أو التلمود، أو للطقوس اليهودية المختلفة. ولا يرتبط هذا النقاش فحسب، بالتطورات السياسية الأخيرة التى تواجهها إسرائيل على مستوى عملية التسوية، أو بسبب المخاوف من نشوء دولة فلسطينية، بل تعود جذور ذلك إلى بدايات تأسيس الدولة العبرية التى أرادها المؤسسون الأوائل، امتداداً لمنظور علمانى يستهدف الإحياء الاقتصادي، والاجتماعي، والثقافي للشعب اليهودي، فيما أرادت الأوساط الدينية أن تخلق فى (أرض إسرائيل) مجتمعاً يهودياً يمارس تعاليم التوراة . وقد خاض جهاز الحاخامية والأحزاب الدينية معه منذ تأسيس دولة إسرائيل معركة مستمرة لتشديد هيمنة الشريعة الدينية على مجمل سكان إسرائيل اليهود . كما عملوا على مد التأثير الدينى على الحياة اليومية لهؤلاء السكان. ولا يزال الخلاف حول هذين المفهومين، الديني والعلماني، لتنظيم حياة اليهود، والتعريف اليهودي تمثل إلى اليوم أحد خطوط التوتر الأساسية فى المجتمع الإسرائيلي»[1].

«والقضية الثانية تدور حول هوية الدولة، وعلاقة هذه الهوية بالحلم اليهودي، وبالمشروع الصهيونى، ويتلخص النقاش حول هذه القضية فى التساؤل التالى: هل إسرائيل اليوم وبعد مضى خمسين سنة على تأسيسها، ومائة عام على المشروع الصهيونى، دولة يهودية فحسب، أم أنها لا تزال دولة اليهود فى العالم، أي دولة المشروع؟ والفارق بين المفهومين يعنى فى الحالة الأولى نهاية الحلم الصهيونى؛ لأن الدولة الموعودة أصبحت دولة نهائية لليهود الذين يعيشون على أرضها، وهذا يتناقض مع فكرة التوسع الدائم التى يفرضها استيعاب المزيد من المهاجرين اليهود فى هذه الدولة . وما يجعل لمثل هذا النقاش حول هوية الدولة، ومستقبلها حرارة وجدية فى الداخل الإسرائيلي، تقلص زخم الهجرة اليهودية من أنحاء العالم إلى إسرائيل، بعدما بلغت ذروتها من الاتحاد السوفييتى، عام ١٩٩٠م (٢٠٠ ألف) تتراجع وتستقر تدريجياً على حدود (٥٠ ألف من ٩٢ –٩٧)، ولا يبدو أن الدولة العبرية نفسها ترغب اليوم فى أن يترك معظم يهود العالم مواقعهم المالية، والسياسية، والإعلامية التي تشكل قوى ضغط وتأثير فعلية فى البلدان التى يتواجدون فيها، لكى يعودوا إلى إسرائيل (أرض الميعاد)، وهذا يعنى

(١)عتريس، طلال: قضايا إسرائيل والصهيونية، مجلة شؤون الشرق الأوسط، عدد (٧٣)، ١٩٩٨م، مركز الدراسات الإستراتيجية والبحوث والتوثيق، ١٩٩٨م، الافتتاحية، ص ٤.

على مستوى آخر أن المشروع الصهيونى لإسرائيل «تمتد من الفرات إلى النيل» بات مستحيلاً فى ظروف مماثلة، كما أن مثل هذه الدولة المفترضة التى تضم ملايين إضافية من العرب لا تبدو بدورها فكرة محببة فى أذهان الإسرائيليين جميعاً، وهم لا يعرفون ماذا يفعلون مع الاختلال الديموجرافى الذى يميل لمصلحة الفلسطينيين فى حدود إسرائيل الحالية »[1].

« لقد كان حلم الصهاينة إنشاء دولة لهم أوروبية الطابع، تكون امتداداً لأوروبا على الشاطئ الشرقى للبحر المتوسط ، وحارسة لقيم الحضارة الأوروبية فى مواجهة «همجية» الشرق كما قال هيرتزل أبو الصهيونية الروحى. فلما فوجئ اليهود الأوروبيون المسيطرون على الدولة .. ومن قبلها الحركة الصهيونية، بتضاؤل أعداد المهاجرين من أوروبا، بعد أن نضب معين الهجرة منها بعد الحرب العالمية الثانية، وبتدفق أعداد ضخمة من المهاجرين من البلدان العربية وسائر بلدان الشرق الأوسط، وجدوا أنفسهم فى ورطة يصعب الخروج منها فلا هم بقادرين على الحد من تدفق اليهود الشرقيين على إسرائيل لتعارض ذلك مع أساس قيام الدولة اليهودية، ولا هم بقادرين على اجتذاب مهاجرين من أوروبا وأمريكا، فاليهود الباقون فى أوروبا (الشتات) لا يرغبون فى الهجرة إلى إسرائيل، بل أن ١٠٠.٠٠٠ منهم عادوا إلى أوروبا أو توصلوا إلى بلدان أخرى بعد أن كانوا قد هاجروا إلى إسرائيل ، أما يهود أمريكا فيكتفون بتظاهرات التأييد لإسرائيل، وبتقديم التبرعات إليها، وقلما فكر أحد منهم فى الهجرة لإسرائيل»[2].

« لقد وضعت حكومة إسرائيل برنامجاً لامتصاص اليهود الشرقيين فى المجتمع الإسرائيلي الأوروبى الصبغة، ومعنى ذلك محاولة تغيير المكونات الثقافية، واللغوية، والاجتماعية لليهود الشرقيين بمكونات أخرى، أوروبية الطابع، مما يعنى تحويل الأغلبية من صورتها الأصلية إلى صورة شبيهة بصورة الأقلية، ولكن نجاح هذا البرنامج دونه صعوبات جمة، فاليهود الشرقيون لا يتكلم معظمهم العبرية، ولا اليديش لغة أوروبا الشرقية والوسطى، وهم بتكوينهم الثقافى والاجتماعى أشبه بسكان البلاد التى

(١)المرجع السابق، ص٤.

(٢)بدر، جمال مرسى (دكتور): التناقضات فى المجتمع الإسرائيلي تقارير وتعليقات ، مجلة السياسة الدولية، مركز الدراسات السياسية والإستراتيجية بالأهرام، القاهرة، ٣٢، ص ١٣١، ١٣٢.

نزحوا منها منهم باليهود الأوروبيون، فضلاً عن أن معظمهم لم ينشأ على الأفكار الصهيونية، ولم يتشرب مبادئ تلك الحركة، بل لعلهم لم يسمعوا باسم هيرتزل قبل هجرتهم إلى إسرائيل. فهم بالنظر إلى ذلك كله فى واد واليهود الأوروبيين فى واد آخر، مما دعا البعض إلى إطلاق اسم «إسرائيل الثانية» عليهم على اعتبار أن إسرائيل الأولى «الأصلية» تتمثل فى النازحين إلى إسرائيل من اليهود الأوروبيين»[1].

وعلى الرغم من خطط وبرامج الحركة الصهيونية لمحاولة ذوبان الطوائف الشرقية فى المجتمع الإسرائيلي، ومحاولة الظهور بعدم وجود مشاكل طائفية، فإن الواقع يصرخ معلناً عن الفوارق، والظلم، والاضطهاد الواقع على تلك الطوائف، مع الشعور بالتدنى فى المناصب داخل الدولة، مقابل الأشكناز، خير مثال للإعراب والتعبير عن تلك الأمور هم رموز أدب الطوائف الشرقية فى إسرائيل، وعلى سبيل المثال عند الأديب «شمعون بلاص» فى رواية «الوارث»، حيث يصرخ «دانى» أحد أبطال الرواية، معلناً : «أن يكون اليهودي أشكنازياً فماذا فى ذلك من شرف كبير؟ إن الشرف البالغ هو أن تستمر فى طريق الرواد الأوائل، وقد كانوا من الأشكناز ... يجب أن نصلح ما أفسده الأشكناز، لقد تورطوا فى النظريات وخلقوا لأنفسهم ذلك النوع من الجيتو الذى سيطروا عليه، بينما دفعوا بالسفاراد جانباً، هذا الأمر يجب أن ينتهى . نحن سنفعل أحسن مما فعلوا هم. نحن نعرف العرب . لسنا بغرباء. ثم إننا ليست لدينا آراء مسبقة. لن نعامل العرب كأناس أدنى منا، كما تعامل الإشكناز تجاههم وتجاهنا، هذا فرق كبير، إن الإشكناز يكرهون العرب، ويكرهون اليهود الشرقيين أكثر، يريدون أن يسودوا، لن نسمح لهم، لقد مضى عهدهم. نحن مجددو الصهيونية .. فاليهودي الشرقى رجل عملى، والصهيونية عملية، فأولاً، وقبل كل شئ، ستكون صهيونيتنا، صهيونية إسرائيلية، وليست بصهيونية نبتت من منفى أشكنازى»[2].

وجاء على لسان أحد أبطال رواية «المعبرة»، للأديب نفسه، قوله: «إننى لا أتحمل هذه اللغة، عندما أسمع هؤلاء اليديش يتكلمون بها، أشعر بالغثيان، إنها ليست لغة

(١)المرجع السابق، ص ١٣٢.

(٢)بلاص، شمعون: الوارث، عم عويد، تل أبيب، ١٩٨٧، ص ٧٢.

رجال كالعربية، التى لكل كلمة فيها وزنها، ولا حتى كالإنجليزية الثرية والبلاغية»[١].

وما يزيد قضية يهود الشرق تعقيداً أمام الصهيونية، هو رفضهم لما تفرضه عليهم من ثقافات غربية أشكنازية، وتمسكهم بثقافة، وعادات، وتقاليد الشتات المغاير، تماماً، لما هو مطلوب منهم أن يسلكوه، فيقول «أفايو»، وهو شاعر إسرائيلى شرقى الأصل : «إن القضية التى نواجهها هى قضية الهوية، وهذه القضية هى قضية كل المجتمع الذى يبحث عن هويته، وتكمن أصول هذه المشكلة فى أن كل جماعة منا أتت إلى إسرائيل، وهى محملة فى داخلها بتراث ثقافى خاص بها يختلف فى جوهره أشد ما يكون الاختلاف عن التراث الذى جلبته كل جماعة. ولا أستطيع أن أكون فى حل من تراثى وتراث آبائى الذى جلبته من الشرق»[٢].

ويؤكد على ذلك أيضاً الشاعر والأديب الإسرائيلي «أمنون شموس»، وهو سوري الأصل، حيث يعرب عن تمسكه بتراثه الشرقي، فيقول : «ما زلت مندهشاً من أن ذكريات طفولتى فى حلب ما زالت حية فى ذاكرتى. لن يصدقنى أحد إذا ما قلت أنى ما زلت أتذكر وأحن إلى مذاق الطعام فى حلب .. ورغم ابتعادى عن حلب، فإننى ما زلت أعيش فى جوها، خاصة أن والدتى مازالت تحافظ على كل ما كانت تقوم به فى حلب»[٣].

وحول الموضوع نفسه، والخاص بالهوية والثقافة، يؤكد الأديب والشاعر الإسرائيلي «راتسون هاليفى»، اليمنى الأصل، ارتباطه بثقافة الشتات بقوله:«إن ثقافتى التى تشكل وعيى مستمدة من قراءاتى المختلفة، هنا في إسرائيل . أما كل ما يتعلق بجانب اللاوعى من شخصيتى فهو مستمد من تقاليدى اليمنية التى تشربتها منذ صغرى، وليس لدى أدنى شك فى أن هذا الجانب من شخصيتى يتجلى فى شعري»[٤].

وتستحوذ قضية الصراعات المختلفة والإثنيات داخل المجتمع الإسرائيلي، على جانب كبير مهم من الدراسات السياسية واستطلاعات الرأى. ففى استطلاع للرأى

(١)المرجع السابق، ص ١٠٠.

(٢)دور، موشيه: المشكلة الطائفية، كتاب شعراء لا يسيرون فى جماعات، شلومو افايو، ص ١٠٧.

(٣)المرجع السابق، ص ١٠٧.

(٤)ليف، حاقان: فصول من أدب يهود الشرق، (القدس ١٩٨٦)، ص ٢١.

أجرته صحيفة «هاآرتس»، بتاريخ ٤/ ١٠/ ٢٠٠٠ م، قام به الصحفى «حامى شلومو»، أظهر هذا الاستطلاع فى نتائجه بغضاً وكراهية عميقة لعرب إسرائيل ، ووجود فجوة هائلة بين العلمانيين والمتدينين.

ومن بين الأسئلة المهمة:

الحريديون والعلمانيون وغيرهم: من بين الجماعات الآتية . أين توجد الفجوة الأكثر اتساعاً من وجهة نظرك؟

- بين العلمانيين والحريديين ٥٤٪ - بين اليهود وعرب إسرائيل ٢٤٪.
- بين الإشكنازيين والشرقيين ٧٪ - لا أعرف ٥٪.

- هل تعتقد أن هناك حرباً ثقافية بين العلمانيين والحريديين، أم ليست هناك حرب؟

- توجد حرب ٨٠٪ - لا توجد حرب ١٦٪ - لا أعرف ٤٪.

هناك من يدعى أن العلمانيين والحريديين شعبان مختلفان .. هل توافق على هذا الادعاء أم أنك تعترض عليه؟

- أوافق ٤١٪	لا أوافق ٥٨٪	- لا أعرف ١٪
- بين الحريديين	أوافق ١٩٪	- لا أوافق ٨٠٪
- بين الدينيين	أوافق ١٨٪	- لا أوافق ٨٠٪
- بين التقليديين	أوافق ٤١٪	- لا أوافق ٥٧٪
- بين العلمانيين	أوافق ٤٩٪	- لا أوافق ٤٥٪

- هل تعتقد أن هناك احتمالاً لأن يصل الخلاف بين الحريديين والعلمانيين إلى حد المواجهة الجسدية، أم ليس هناك احتمال؟

- هناك احتمال ٦٦٪
- لا يوجد ٣٠٪[1].

(١)مختارات إسرائيلية، مركز الدراسات السياسية والإستراتيجية بالأهرام، القاهرة، نوفمبر ٢٠٠٠ ، العدد ٧١، ص ٤١، ٤٢.

وبناء على ما تقدم، فإن عوامل الهدم أصبحت متوفرة ومتنامية للصهيونية يوماً بعد يوم، لتثبت فشلها فى تطبيع يهود الشتات داخل إسرائيل، ومن هنا لم يكن أمامها بد من حالات الحرب التى يبدو فيها التماسك العام، ولو مرحلياً، أو زمانياً، ولفترات معينة، والمكان الطبيعي لهذا التطبيع هو الجيش. ولكن زيادة فى تعقيد المسألة أمام دعاة الصهيونية، فإن الجيش نفسه أصبح يعانى من هذه الأمراض والصراعات التى انتقلت بدورها بالتسلسل من الشتات ثم إلى المجتمع الإسرائيلي، ونمت وترعرعت داخل صفوف الجيش.

«إن دراسة أصول البنية القيادية فى الجيش الإسرائيلي تفيد أن ذوبان المجموعات العرقية ضمن الجيش الإسرائيلي، لا يزال بعيد المنال ، حيث يشكل اليهود الشرقيون – اعتباراً من السبعينيات – نحو ٦٠٪ من المجندين ، ٣٠٪ من ضباط الصف، ١٪ من الضباط القادة. كما تتألف القيادة العليا للجيش من نخبة أشكنازية تخرجت من الكيبوتس، ومن حركات تعود فى أصولها إلى مجموعات المهاجرين الأوائل فى أواخر القرن الماضى . ويذكر «شلوموفرنكل» فى كتابه عن متخذى القرارات فى إسرائيل، أن ٣٪ فقط، من ضباط الجيش من رتبة مقدم وما فوق، هم أبناء الطوائف الشرقية . ويعد على الأصابع الضباط الشرقيون الذين وصلوا في الجيش إلى رتبة عميد . وفي هذا السياق يذكر باحث محايد أن الجيش الإسرائيلي يمنح فرصاً أفضل للأشكناز الأكثر تعلماً وثقافة، بينما يحرم من هذه الفرص اليهود الشرقيين. وبالرغم من أن جيلاً ثالثاً من الشرقيين ولد وتعلم في إسرائيل، فإن عدداً ضئيلاً منهم وصل إلى رتب عالية مسؤولة في الجيش، وربما لا تزيد نسبتهم عن ١٠٪ من مجموع الضباط»[1].

ومن المعروف أن الجيش الإسرائيلي اعتمد، منذ تأسيسه، على المجندين من العلمانيين الذين يشكلون حوالى ٨٠٪ من مجموع عدد السكان ، وذلك في إطار التجنيد الإلزامى الذى يخضع له كل شباب إسرائيل ، ثم يتحول بعد انقضاء فترة تجنيدهم إلى وحدات الاحتياط، إلى أن يصل عمرهم إلى الخامسة والخمسين. أما التيار الدينى الذى

(١)كيوان، مأمون: اليهود في الشرق الأوسط، الخروج الأخير من الجيتو الجديد، الأهلية للنشر والتوزيع، ط١، عمان، ١٩٩٦، ص ٢٥١.

يتكون من حوالى ٢٠٪ من مجموع عدد السكان، والذي اقترب من الحصول على ٢٥٪ إلى ٣٠٪ من مقاعد الكينست في انتخابات ٢٠٠٣ ، فقد منح أبناؤه حق الإعفاء من الخدمة العسكرية، إذا تفرغوا للدراسات الدينية في المدارس، والمعاهد الدينية المتوسطة، وفي المعاهد الدينية العسكرية المعروفة باسم (يشيفوت هاهسدير) أى لا يجند من أبناء المتدينين سوى من يرغب في ذلك، أو من يتوقف عن الدارسة الدينية، وعليه يلغى سبب إعفائه من الخدمة العسكرية. وقد استغل التيار الحريدى هذا الحق الذى منح للمتدينين بصورة شبه كاملة إلى أن ظهرت مؤخراً بعض الأصوات داخل هذا التيار تطالب بمزيد من مشاركة المتدينين في الخدمة العسكرية، أو تطالب بتشكيل وحدات عسكرية خاصة بهم ضمن تشكيلات الجيش»[١] .

« ولا يقتصر السعى الدينى للتوغل داخل الجيش الإسرائيلي على تولى مناصب قيادية عليا، أو على الالتحاق بالدورات المختلفة لتخريج الضباط أو ضباط الصف، بل امتد ليشمل مرحلة ما قبل التجنيد الإلزامى ، فقد أخذ الزعماء الروحيون للتيار الدينى يشجعون الشباب المتدينين الذين لم يحن بعد موعد تجنيدهم على الاهتمام بالمسار العسكرى، وتفضيله على مسار الحياة المدنية، وذلك بإنشاء مجموعة من معاهد إعداد الشباب المتدينين للحياة العسكرية، وأول معهد إعدادى عسكرى يحمل اسم أبناء داوود (بنى ديفيد)، والذى أقيم فى منطقة «عالية »، عام ١٩٨٨ ، والمعهد الأخير الذى أقيم في قاعدة جوية في «صفد» عام ١٩٩٦ ، ويحمل اسم معهد عظمة الإيمان (هدرت إيمونا)، ومن أهداف تلك المعاهد العسكرية الأولية، الإعداد السليم للشباب المتدينين لكى ينخرطوا في صفوف الجيش، وكذلك إعدادهم جسمانياً وروحياً لمواجهة أسلوب الحياة داخل الجيش حتى يتغلبوا على المصاعب التى تواجههم. وقد بلغ عدد هذه المعاهد الآن (١٤) معهداً، تخرج منها ما يزيد على (٣٩٥٢) خريجاً . وأظهرت الأرقام أن حوالى ٢٧٪ من عدد الذين تخرجوا من دورات نظمتها تلك المعاهد، في الفترة ما بين ١٩٨٨-١٩٩٦ ، أصبحوا يعملون ضباطاً بالجيش»[٢] .

(١)الدويك، عبد الغفار: تصاعد التيار الدينى في الجيش الإسرائيلي، مجلة السياسة الدولية (١٤٤)، ٢٠٠١، ص ٢٣٢ .

(٢)المرجع السابق، ص ٢٣٣.

والمعروف أن هدف التيار الدينى الحريدى المتطرف والعنصري هو إقامة «إسرائيل الكبرى»، وبالتالى فهم يعلنون عن تمسكهم بالأراضى المحتلة، وعدم التنازل عنها، أو توقف الاستيطان فيها، ويرفضون معاهدات السلام. وتزايد أعداد المتدينين في الجيش الإسرائيلي، وتناقص أعداد العلمانيين يعطى الجيش، الطابع الديني، مما يجعله وسيلة للجناح اليمينى المتطرف لتنفيذ سياسة الاستيطان، وتبنى سياسة القمع الإرهابى ضد العرب وقد حذر الصحفى الإسرائيلي «أمنون كابيليوك» من اختراق اليمين اليهودي المتطرف للجيش لأن هذا يرفع من شأن العنف، ويقتل كل فرص السلام، ويصف «كابيليوك» هذه الخطورة على النحو التالى :

* إن نصف ضباط الجيش الإسرائيلي سيرتدون القلنسوة الدينية على رؤوسهم بعد عشر سنوات فقط، وأن جنود الجيش الإسرائيلي سيجدون أنفسهم أمام خيارين إما طاعة قائدهم العسكرى ، أو طاعة الحاخام .

* ومن الممكن أن يرفض ضباط وجنود الجيش الانصياع لأوامر الحكومة، خاصة فيما يتعلق بالانسحاب من الأراضى العربية المحتلة. ومع تفشى ظاهرة التطرف الدينى في إسرائيل، ستزداد حدة اللجوء إلى العنف والعدوان، وستصبح الحرب أمرا محتملاً كسياسة للدولة، وبضغط من عناصر التطرف الدينى المتزايدة في الجيش الإسرائيلي»[1] .

ومن هنا، فالصهيونية التي نشأت في ظل مجموعة فريدة من الظروف، انتهت باختفاء تلك الظروف، لأنها فشلت في تحقيق الغرض منها وهو حل «المشكلة اليهودية». لقد كانت محاولة شجاعة عميقة الأثر لإحداث ثورة في حياة الشعب اليهودي، وقد أخفقت هذه الثورة. وقد ثبت أن المحاولة الصهيونية كانت مجرد حدث مهم دون ريب في تاريخ الدياسبورا اليهودية، استمر خمسة وعشرين قرناً، ولكن هذه المحاولة خلفت تركة كان الإنجاز الإيجابى الوحيد هو إيجاد مجتمع يهودى قوى فى إسرائيل «أرض إسرائيل»، كان قادراً على إنقاذ بضعة ملايين من اليهود من الدمار الذى حاق بيهود شرق ووسط أوروبا. أول العناصر الأخرى مثل الدولة اليهودية غير القابلة للنمو والأيديولوجية الميتة،

(١)المرجع السابق، ص٢٣٤.

والتنظيم الحي (البغيض)، والفكرة المتسلطة على الدياسبورا اليهودية، وهى البقاء كدولة يسيطر عليها اليهود – فكلها سم زعاف لجميع الأطراف المعنية»[١].

«وإسرائيل كدولة يساندها الغرب، ويسيطر عليها اليهود تغذى – بوجودها على هذا النحو – الرفض العربى، وذلك لكونها حصناً غربياً بالفعل في قلب منطقة الشرق الأوسط . لذلك تبدو في أعين دول الشرق الأوسط كخطر دائم على استقلالها، وهو الدور الذى لا تكف المؤسسة الإسرائيلية الصهيونية عن لعبه. إن السعى من أجل بقاء إسرائيل كدولة يسيطر عليها اليهود هو السبب الرئيسى لقهر الشعب الفلسطينى، سواء كان ذلك في صورة التمييز ضد العرب الإسرائيليين، أو منع إقامة الحكم الذاتى الفلسطينى في الأراضى المحتلة. والأسوأ من ذلك كله منع إعادة توطين لاجئي عام ١٩٤٨ في وطنهم، وقهر الفلسطينيين هو مصدر آخر يغذى الرفض العربي»[٢].

المبحث الثانى: علاقة الشتات اليهودي بإسرائيل فى ضوء الحروب العربية - الإسرائيلية

«إن الحرب فى إسرائيل هى جزء من الماضى، ومن الحاضر، ومن المستقبل، إنهم يأملون فى السلام، ولكن لابد من الاستعداد للحرب القادمة. وأدبيات الفكر الإسرائيلي زاخرة بمثل هذه الرؤى التى تنظر إلى الحرب باعتبارها قدراً حتمياً وهوة جبرية لا مخرج منها ولا مناص من الدوران فى فلكها؛ من أجل ضمان الوجود الإسرائيلي، بما تنطوى عليه هذه الرؤية من إحساس بأن الموت الذى تنطوى عليه هذه الحروب يسير فى أعقابهم، كوقع الحافر على الحافر دون خلاص. وبعض أصحاب هذه الرؤية ينظرون إلى هذا الأمن والأمان والحياة الطبيعية بأكثر مما كان وضع اليهودي الجيتوى بين المجتمعات التى عانى معاداة اليهودية فى وسطها»[٣].

---

(١) Israel and Palestine in the post – zionist era;:Omri, Benjamin إسرائيل وفلسطين بعد الحقبة الصهيونية، الهيئة العامة للاستعلامات، كتب مترجمة (٧٦٥)، مطابع الأهرام التجارية، ص١٠٨ .

(٢) المرجع السابق، ص ١٠٨ ، ١٠٩ .

(٣) الشامى، رشاد عبد الله (دكتور): عجز النصر.. الأدب الإسرائيلي وحرب ١٩٦٧م، دار الفكر للدراسات والنشر والتوزيع، القاهرة، ١٩٩٠، ص١٠.

وهذه الحالة التى سيطرت على المجتمع الإسرائيلي، وأفقدته طبيعته الأمنية، ألقت بظلالها على مصير تواجد الكثيرين فى إسرائيل، وأصبح النزوح هدفاً صريحاً، على الرغم من قسوته كقرار ضد أهداف الصهيونية. فبعد حرب السادس من أكتوبر ١٩٧٣م، تغيرت خريطة الشتات اليهودي، وخاصة الأمريكى، بسبب ظاهرة النزوح من إسرائيل، على الرغم من أن هذا النزوح يعد من الأمور المناوئة لمبادئ الاستيطان الصهيونية، حتى أنها تطلق عليها بالعبرية مصطلح (יְרִידָה)، مقابل مصطلح الهجرة (עֲלִיָּה)، وبالتالى تعمل على الحد من النزوح ومحاربته.

«إن المجتمع الإسرائيلي هو مجتمع المغتربين الوحيد داخل الولايات المتحدة الأمريكية الذى يجادل بأن أمريكا ليست بمكانه الدائم، ثم ظهرت فى السنوات الأخيرة موجه من الإسرائيليين الذين لم ينتابهم الخجل لأنهم هجروا إسرائيل، ليس لأن الضجر قد سكنهم بل لأنهم أدركوا فى إسرائيل بأنها ليست بالمكان المناسب، وهو يسعى لأن يتذوق الجوهر الحقيقى للحياة الأمريكية بعد أن عاش وجودها الزائف فى إسرائيل، هذه المجموعات من المهاجرين ضمت الصفوة داخل المجتمع الإسرائيلي من الأساتذة ورجال الأعمال»[1].

وهذا النزوح يعد بمثابة دم جديد للشتات يضخ فيه القلق والخوف على إسرائيل، وخاصة أن هؤلاء النازحين قد عاشوا الحروب، وخبروها، وعانوا من نتائجها، مما دفعهم لهذا النزوح. ومن هنا تأتى إضافة دعم لتوجهات الشتات بمساندة إسرائيل.

لقد كانت الحروب العربية ـ الإسرائيلية، بدءا من ١٩٤٨ وحتى ١٩٦٧م، ذات أثر بالغ على الشتات اليهودي، حيث إن الانتصارات التى حققتها الصهيونية، بدءا بقيام دولة إسرائيل على أرض فلسطين، وانتهاء باحتلال الأرض العربية، في أعقاب ١٩٦٧ م ، أعطى كل ذلك انطباعاً بالأمان والاطمئنان لدى يهود الشتات بالتسليم، سواء دينياً أم سياسياً ، بأن لليهود وطناً قومياً قوياً وملاذاً آمناً يتجهون إليه .

ولكن تغير كل ذلك بعد حرب السادس من أكتوبر سنة ١٩٧٣م، فمثلما شعر اليهود

(١)ميلمان، يوسى: الإسرائيليون الجدد، مشهد تفصيلى لمجتمع متغير، ترجمة مالك فاضل البديرى، الأهلية للنشر، عمان، ١٩٩٣، ص٢٣١.

في إسرائيل بالخطر، وأن كيانهم معرض للدمار، شعر كذلك يهود الشتات بالخوف، بل والهلع من جديد بأن كيانهم ورمزهم مهدد بالدمار.

ومن هنا تبدلت نظرة يهود الشتات لإسرائيل من الاطمئنان إلى الخوف وإعادة النظر، والنظرة من الإعجاب إلى العطف، وضرورة الدعم.

فحرب السادس من أكتوبر ١٩٧٣م، «أدت إلى شعور متزايد، وخاصة لدى الشباب (الجنود) بتكلفة الاحتلال، وبدأت مراجعة المقولات الصهيونية الأساسية، وأهمها أن إسرائيل تمثل ملاذاً لليهود في العالم المعرضين للاضطهاد وفقدان الأمن، حيث لاحظ هؤلاء أن أولئك الذين تحرروا من الخوف كانوا يهود الشتات . وأنه إن كان ثمة يهود واجهوا خطر الإبادة وكارثة جماعية فهم أولئك الموجودون في إسرائيل، وحواليها بالإضافة إلى ذلك حتى لو كانت دولة إسرائيل قادرة على منع وقوع كارثة جماعية كما حدث في الحقيقة في حرب «يوم الغفران»، فإن الثمن غالٍ جداً، ولدى اليهود خيارات أخرى للاستمرار في البقاء. وهكذا بدأ هؤلاء يقارنون بين تكلفة الدولة والعائد منها. ومن ناحية أخرى عززت هذه الحرب من قوة العرب في إسرائيل، وبالمثل من قوة المتدينين الصهيونيين وغير الصهيونيين الذين عملوا على شغل الفراغ الذى خلقة زوال الهيمنة العمالية[١].

«في الأيام الحزينة التى تلت حرب أكتوبر ١٩٧٣م، كان من الصعب القول للعالم «فليذهب إلى الجحيم»، فقد صرح الجنرال «موشية ديان» الذى كان يشغل منصب وزير الدفاع أثناء الحرب، أن التزود بالقذائف التى كانت في حينها تزج داخل بطون مدافع «الجيش الإسرائيلي»، متعلق بمساعده الإنقاذ الأمريكية، بقى فقط شعور مشترك بالمصير مع (الآباء الأوائل)، ومع عزمهم (القديم جدا) . حرب أكتوبر عمقت تلك المشاعر الأساسية بموضوع العودة إلى (مصير يهودى)، وهو الذي نتج عن حرب ١٩٦٧م . وهكذا نرى أنه بالتأكيد بعد هذه الحرب – التى كانت في حاجة ماسة لدحض أسطورة إسرائيل القوية القادرة على ذلك أمام العالم – تعاظمت قوة «جوش إيمونيم»،

(١)عز الدين، جلال الدين: ظاهرة ما بعد الصهيونية الأبعاد والمضامين، أمتى في العالم، حولية قضايا العالم الإسلامى، مركز الحضارة للدراسات السياسية، القاهرة، ١٩٩٩، ص ١٦١.

وفي أيام التشوش وفقدان الأمن الذاتى كبرت قوة العامل المسيحاني (المسيح المخلص) وغير المنطقي، وبدلاً من الحل السياسى حل إيمان بسيط مجرد من الموروثات، والحديث عن الذين انقلبوا ليصبحوا جزءاً من مشهد موجود في طرق البلاد، التي تحبذ الرب لمساعدة المواطن الموجود في خطر دائم [1]».

وتبدلت النظرة إلى اليهودي الشتاتى، وسلبياته، سواء في الماضى أو في الوقت الراهن، إلى إمكانية استخلاص إيجابياته في الدعم والمساندة ، بعد أن كانت النظرة ناقدة وساخرة حتى لسلبيات اليهود الذين تعرضوا في شتاتهم لأحداث النازية « فأقل الادعاءات التى عرفت وانتقدت في بعض الأحيان من قبل الكثيرين ، لماذا تم سوقهم للذبح كالأغنام دون معارضة؟»[2].

«والصبار الكلاسيكى، بعيد في التصور الذاتى عن « اليهودي الشتاتى » إنه يحتقر عجزه ويكره جبنه، ويشعر بأنه أقرب كثيرا من « الشعب السليم » جسداً وروحاً عن ذلك اليهودي المعقد في الشتات، وتصل هذه العلاقة من الازدواج القيمى إلى ذروتها العبثية في موقف « الصبار الكلاسيكى» من أحداث النازية حيث نجد أن مقتل يهود أوروبا هو في آن واحد برهان على الأيديولوجية الصهيونية الإسرائيلية، ووصمة عار ليهود أوروبا الذين ساروا كالشاه إلى المذبحة»[3].

وهكذا فقد كانت حرب السادس من أكتوبر ١٩٧٣ ، هي العصا السحرية التى غيرت المفاهيم ما بين الشتات اليهودي وإسرائيل ، فمن الجانب الإسرائيلي تبدلت النظرة من التدنى والسخرية للشتات إلى التقدير والتماس دعمه ومساندته لإسرائيل. وبشكل عام «فقد مرت إسرائيل بثلاث حروب على مدى ٢٠ سنة، قوّت الروابط بينها وبين الشتات، فعلى مدى تلك السنوات حدث تغير في فحوى تلك العلاقة. في البداية، كان هناك الكثيرون من الشباب فى إسرائيل يرون أن صفات اليهودي الجالوتى (الشتاتى) هى في شكل يغلب عليه الازدراء، وأصلهم الإسرائيلي كمكانة لها الأفضلية، وطابع المهاجرين وأغلبهم من

(١)רובינשטיין, אמנון: שם, עמ'122.

(٢)אטינגר, שמואל: תולדות עם ישראל בעת החדשה, כרך«3, (תל- אביב 1969), עמ'368.

(٣)الشامى، رشاد(دكتور): إشكالية الهوية في إسرائيل، المرجع السابق، ص ٨٥ .

بلاد متخلفة، ومن لاجئ أحداث النازية قوى من رؤيتهم لتلك المشاعر »[١].

«حدثت في أعقاب حرب ١٩٧٣ م، تغييرات عميقة جداً، حيث تبين أن دولة إسرائيل تقف وحيدة في المعركة، وأن حليفها الوحيد هو الشعب اليهودي في (الشتات) في شتى أنحاء العالم. لقد أيقظت مظاهرات يهود الشتات، وتطوعهم واستجابتهم بتجنيد كل الوسائل، وإحساس بالخوف على مصير إسرائيل المرتبط بهم، من جديد، شعور المشاركة الكبير، وازدهرت يقظة جديدة خاصة بالاهتمام باليهودية، وباليهود، وبثقافتهم، وتاريخهم»[٢].

وعن إسرائيل كدولة تعتمد على الغرب والشتات يقول جارودى: «إن هذه الدولة الناشئة (إسرائيل) لم تخلق إلا بقرار غير مشروع من منظمة الأمم المتحدة، وبضغوط ورشاوى مخزية، وعاشت ليس بعملها الخاص أو بقواها الخاصة، بل كالصليبيين في الماضي، بتدفق المال والسلاح إليها من الغرب»[٣].

كتب «يشعياهو ليبوفيتش» عن رأيه في الصهيونية اليهودية، قائلاً: «نظامنا عفن وفاسد من أساسه، وذلك لسببين هما : المصيبة كلها نشأت عن أن كل شيء قد ارتكز حول الوطن والدولة، فإذا كان الوطن أو الدولة هما الغاية في حد ذاتها، فاليهودية مرفوضة لأن دولة إسرائيل أهم، وارتهان هذه الدولة بالولايات المتحدة الأمريكية. «إن القومية هى تدمير لجوهر الإنسان»، ودولة إسرائيل ليست بدولة تملك جيش، ولكنها جيشاً يملك دولة. والأمريكان لا يهمهم سوى فكرة الاحتفاظ هنا (إسرائيل) بجيش من المرتزقة الأمريكيين في زى الجيش الإسرائيلي، وأن قوة اللكمة اليهودية تأتى من القفاز الفولاذى الأمريكى الذى يلفها، والدولارات التي تبطنها»[٤].

وعلى الرغم من هذا الارتباط الوثيق، في الوقت الراهن، بين إسرائيل والشتات

(١)אטינגר, שמואל: שם, עמ'368.

(٢)שם עמ'368.

(٣)جارودى، رجاء: الأساطير المؤسسة للسياسة الإسرائيلية(ترجمه قسم الترجمة بدار الغد العربي)، دار الغد العربى، القاهرة، ١٩٩٦، ص ٢٠٤.

(٤)المرجع السابق، ص ٢٠٥.

اليهودي، والاعتماد عليه في الدعم وحث الدعم الأمريكى، فقد كانت « الصهيونية باستثناء شقها الدينى الذى لم يكن أساسياً»، تأسست على إنكار المهجر، وعلى عودة «شعب إسرائيل» إلى «وطنه التاريخي»، وعلى تجديد الثقافة القومية العبرية. وقد رأت الصهيونية في هذين الاثنين: الأرض وثقافة قومية، الأساسين الوحيدين اللذين يمكن أن يضمنا استمرار وجود الشعب اليهودي في العصر الحديث، وعصر الانعتاق، وكسر أسوار الجيتو»[1].

وفي نهاية المطاف، وسواء كانت إسرائيل أو الشتات محطاً لليهود، وكما يقول يوسف حاييم برينر، أحد أبرز كتاب الأدب العبرى الفلسطينى : «وهنا (في فلسطين) يظهر أنه لا فرق .... المنفى في كل مكان، لا فرق ... لا أمان ...فيم تأمن هنا ؟ ملاك الموت في كل مكان، وعيونه في كل مكان تذهب إليه، نفس خاوية من الحلم، حلم الدياسبورا. ولكن إذا كان لا يزال هناك يهود في العالم، وإذا كان لا بد من الحديث حتى يصلهم صوتى لصرحت، قائلاً : «لا تقلقوا على هذا الحلم . إنه حلم أجوف، حلم باطل ، بكل صوره. وإذا كان هناك بقايا من شعب، وإذا كان في مقدورهم أن يشعلوا شموعهم في أماكن تواجدهم، فليفعلوا ذلك، وليكن وجودهم هناك»[2].

وبعد حرب ١٩٦٧ ، توجهت إسرائيل إلى الشتات اليهودي الغربى في محاولة لاستثمار الماضى لدعم الحاضر، وذلك بإثارة قضية «الهولوكوست» والترويج لها على أوسع نطاق في العالم، للمطالبة بالتعويضات، وتذكير اليهود والعالم بأن خطر الإبادة لا يزال يحدق باليهود، وبالتالى يجب أن يغفر لهم العالم وحشيتهم ضد العرب والفلسطينيين .

«إن زعماء اليهود في أمريكا لم يلجئوا إلى تذكير العالم بالهولوكوست النازى في حرب ١٩٤٨ م، رغم قرب هذا التاريخ من إبادة هتلر لليهود، أو ١٩٥٦ لأن التحالف الأمريكى ـ الإسرائيلي لم يكن قد تجسد بعد، ولكنهم ذكروا الدنيا بالهولوكوست، أيام

(١)بورات – يهوشواع : رغم أنفهم ورغم غضبهم (مجلة بولوتيكا ١٩٨٩) مختارات إسرائيلية (٥٣) دراسة (٣) مركز الدراسات السياسية والإستراتيجية الأهرام، القاهرة، ١٩٩٩، ص ١٢.

(٢)حماد، أحمد (دكتور): الاغتراب في الأدب العبرى المعاصر، مجلة عالم الفكر (٢٤- ٣)، ١٩٩٩، ص ٤٦.

حرب ١٩٦٧ ، عندما كانت إسرائيل في ذروة تألقها العسكري، وبعد أن تأكدوا من رسوخ التحالف الأمريكى ـ الإسرائيلي ، بهدف التغطية على أفعال إسرائيل، والحيلولة دون توجيه أى نقد إليها. وادعى يهود أمريكا كذباً، أن إسرائيل تعرضت، عام ١٩٦٧ ، لهولوكوست عربي وشيك يسعى إلى تصفيتهم وإبادتهم عن بكرة أبيهم»[١].

«وعندما انتصرت القوات المصرية، في أكتوبر ١٩٧٣ ، على إسرائيل وألحقت بها خسائر كبيرة في الأرواح، خشى اليهود الأمريكان أن يكون هذا نهاية دولتهم »، عندئذ اشتد صراخ اليهود من الهولوكوست العربى الذى بات يهددهم. يقول «نوفيك» في هذا الشأن « إن موقف إسرائيل المهزومة صار في نظر اليهود الأمريكان مروعاً وفظيعاً، ويشبه موقف يهود أوروبا، منذ ثلاثين عاما مضت . أخذ الحديث عن الهولوكوست ينتشر ويشيع، فضلاً عن أنه أصبح حديثاً مؤسساً وراسخا على نحو متزايد، رغم أن خسارة إسرائيل في الأرواح عام ١٩٧٣ ، يقل بكثير عن خسارتها عام ١٩٤٨»[٢] .

وهكذا فقد أصبح الهولوكوست بالنسبة لإسرائيل جائزة لها مبرراتها التى تسمح لها بالمطالبة بالتعويضات، وتقديم كل ما يساعدها على الاستمرار في شكلها العنصرى القوى والخاص في قلب الشرق الأوسط، بحجة إمكانية تعرضها للدمار ولهولوكوست عربي، وتلوح بذلك على الدوام. ويساعدها في ذلك الشتات اليهودي الغربي، والأمريكي بالذات، والحليف الأمريكى من ورائهم، وتجد مبررات لامتلاكها السلاح النووى، وممارسة نازيتها ضد العرب والفلسطينيين .

وتصل قمة استثمار الهولوكوست لصالح إسرائيل في دعم الغرب لها عن طريق مساعدتها في بناء المفاعلات النووية »، ففي ديسمبر ١٩٦٠م، وبعد حوالي خمسة أشهر من الإعلان، لأول مرة، عن أن عملاء إسرائيليين قاموا باختطاف الجنرال «ايخمان» من الأرجنتين، وعدت الجريدة الأسبوعية الأمريكية تايم بنشر سبق صحفى عن إسرائيل: «فهناك تقرير عن قيام إسرائيل بصنع قنبلة ذرية، وعلى الفور أعلن ديفيد بن جوريون،

(١)عوض، رمسيس (دكتور): الهولوكوست بين الإنكار والتأكيد، كتاب الهلال، العدد ٦٠٠، دار الهلال، القاهرة، ٢٠٠٠، ص٢٢.

(٢)المرجع السابق، ص ٢٤.

بأنها أخبار كاذبة، ولكنه أكد بالكنيست أن إسرائيل تقوم ببناء مفاعل نووى ثان فى النقب، وهى مدينة أبحاث ذرية بجوار ديمونة، التي تم إقامتها بمساعدة فرنسا، وحتى هذه اللحظة تعد سراً كبيراً . وقد قيل لسكان المنطقة إنه مصنع للمنسوجات على غرار المفاعل الذرى الأول المقام في منطقة «ناحال شورق »، وهو بلغة المطلعين (المفاعل الصغير)، والمفاعل الكبير بجوار ديمونة للأغراض السلمية فقط . وأضاف بن جوريون في أقواله بأنه مشابه للمفاعل التى ساعدت كندا الهند في بنائه»[١].

« في أكتوبر ١٩٦٤م، أخبر موظف كبير في حكومة ألمانيا الصحفيين في بون بوجود تعاون مشترك بين بلاده وإسرائيل في مجال البحث الذرى لدواعى السلام، (في الصحيفة اليومية – فرنكفورتر – وندشاو) ، وأضاف بأنه بناء على ذلك، أو في غضون فترة قصيرة، ستمتلك إسرائيل قنبلة ذرية بمساعدة علماء من ألمانيا؛ تلك الأنباء أدت على الفور إلى اقتراحين بحجب الثقة عن الحكومة، وأنكر « أبا أيبان « وزير التعليم، وقال : «لا توجد نشاطات علمية ألمانية بإسرائيل عامة، وفي المجال النووى خاصة، لكن الصحف تعمدت الاختراق بإعلان أسماء عالميين هما: البروفيسور «هانزيانش»، الحائز على جائزة نوبل في الفيزياء، والبروفيسور « فولفجانج جنتز »، مدير مركز الفيزياء النووية، بجوار معهد ماكس فلنك المعروف «بهايدلبرج»، حيث كان الاثنان في إسرائيل، وأعلن عن اسميهما بالكنيست، وأكدت الحكومة أنهما زارا معهد فايتسمان»[٢].

وبرزت قوة الشتات اليهودي فى الولايات المتحدة الأمريكية، بداية من من حرب ١٩٦٧م، وحرب السادس من أكتوبر ١٩٧٣م، من خلال توجهات السياسة الأمريكية لصالح إسرائيل، والتى يقول عنها «برنارد راغ» :«إن إسرائيل تحتل مكانة خاصة فى سياسة الولايات المتحدة الأمريكية فى الشرق الأوسط، بشكل لا مثيل له، وهى المكانة التى يجسدها دور إسرائيل فى الصراع العربي ـ الإسرائيلي. إن وجود إسرائيل وأمنها هما خطوط رئيسية فى سياسة الولايات الأمريكية، منذ وجود إسرائيل، حيث تدعمها، منذ ذلك الحين وحتى اليوم. وقد توثقت العلاقات الخاصة بينهما بمرور السنين، ووصلت

(١)שגב, תום: המליון השביעי, הישראלים והשואה, כתר, ירושלים, 1998, עמ'344.
(٢)שם, עמ'347.

إلى مستويات جيدة ذات مغزى فى مجال التعاون والتنسيق فى المجالات السياسية، والاقتصادية، والعسكرية، خلال الفترة ما بين حرب ١٩٦٧م - ١٩٧٣م»[١].

وهناك من الأحداث ما يبرهن على قوة الشتات اليهودي فى الولايات المتحدة الأمريكية، «ففى ٨ يونيه ١٩٦٧م، قذف الطيران والبحرية الإسرائيليان الباخرة الأمريكية «ليبرتى» (بالشرق الأوسط أثناء حرب ١٩٦٧م)، وقتل في هذه العملية ٣٤ بحاراً، وجرح ١٧، واعتذرت الحكومة الإسرائيلية عن هذا الحادث، وحفظت القضية. وثبت بعد ذلك أن هذا القذف لم يكن نتيجة خطأ، ولكنه كان متعمداً حتى لا تكتشف خطط إسرائيل لغزو الجولان. ويفسر الأميرال «توماس مور» سر التغطية على هذه الجريمة، قائلاً :« كان الرئيس جونسون يخشى رد فعل الناخبين اليهود... ويضيف الأميرال:«كان الشعب الأمريكى سيجن جنونه إذا عرف بما جرى»[٢].

ويتعدى الشتات اليهودي دوره فى مساندة إسرائيل فى حروبها السابقة إلى التطلع لأحلام قيام (إسرائيل الكبرى)، من خلال شن حروب من نوع آخر بالمنطقة لصالحها. فقد نشرت «المنظمة الصهيونية العالمية» فى مجلتها «كيفونيم»، التي تصدر في القدس، في عددها الصادر، في فبراير من عام ١٩٨٢م، مقالاً بعنوان (الخطط الإستراتيجية لإسرائيل فى الثمانينيات)، جاء فيه:« إن مصر بوصفها جسداً مركزياً، فإن هذا الجسد قد مات (لا قدر الله) لاسيما لو أخذنا فى الاعتبار المجابهة التى تزداد بين المسلمين والمسيحيين، كما أن تقسيمها إلى مقاطعات جغرافية منفصلة يجب أن يكون هدفنا السياسى فى التسعينيات على الجبهة الغربية. فإذا ما تفككت مصر وحرمت من السلطة المركزية فإن بلداناً أخرى، مثل ليبيا، والسودان، وغيرهما من البلدان الأبعد ستعرف نفس التفكك. ويعتبر تشكيل دولة قبطية فى صعيد مصر. هو مفتاح الحل لتطور تاريخي، تأخر اليوم، بسبب اتفاق السلام، ولكن لابد منه على المدى الطويل. ورغم المظاهر فإن الجبهة الغربية تمثل مشاكل أقل من مشاكل الشرق، ويجسد تقسيم لبنان إلى خمس محافظات ... ما سيحدث فى العالم العربى بأسره. وتفكك سوريا والعراق إلى

(١)الشامى، رشاد عبد الله (دكتور): الشخصية اليهودية الإسرائيلية والروح العدوانية، دار الزهراء للنشر، القاهرة، ١٩٩١، ص٢٣٠-٢٣١.

(٢)جارودى، رجاء: الأساطير، المرجع السابق، ص١٨٥.

مناطق محددة، على أساس المعايير العرقية أو الدينية، ينبغي أن يكون على المدى الطويل هدفاً ذا أولوية لإسرائيل، على أن تكون الخطوة الأولى هى تحطيم القوة العسكرية لهاتين الدولتين. فالهياكل العرقية فى سوريا تعرضها للتفكك الذى قد يؤدى إلى إنشاء دولة شيعية على طول الساحل، ودولة سنية فى حلب، وأخرى فى دمشق، وكيان درزى قد يرغب فى تشكيل دولته الخاصة به ـ ربما فوق هضبة الجولان ـ وعلى أية حال مع حوران وشمال الأردن، ومثل هذه الدولة ستصبح على المدى الطويل ضماناً للأمن والسلام فى المنطقة. وهو هدف فى متناول يدنا بالفعل. والعراق الغنى بالبترول، والمرتع للمنازعات الداخلية هو خط التسديد الإسرائيلي، وتفكيكه سيكون بالنسبة لنا أهم من تفكيك سوريا، لأنه يشكل على المدى القصير أخطر تهديد لإسرائيل. (كيفونيم، فبراير ١٩٨٢م، ص ٤٩- ٥٩)» [١].

وتحاول الدعاية الصهيونية توظيف واقعة الإبادة فى تعبئة أعضاء الجماعات اليهودية (باعتبارهم الضحية الوحيدة)، وراء الأهداف الصهيونية، ولتحقيق هذا يحاول الصهاينة أن يجعلوا من الإبادة حجر الزاوية التى تستند إليه الوحدة بين يهود العالم فى إسرائيل وخارجها، فالإبادة بعد فرض المعنى الصهيونى عليها، تنهض دليلاً على رفض العالم لليهود، وعلى أن الأغيار يتربصون دائماً بالضحية اليهود الذين يقدمون قرباناً على المحرقة، وهذا تأكيد للمقولة الصهيونية الخاصة بأذلية معاداة الأغيار لليهود وحتميتها، ومن ثم يتعين على يهود العالم (الشتات) الهجرة إلى «الوطن القومى» ولكن يهود العالم هنا يتربصون على أساس أن الإبادة أمر مستحيل الوقوع مرة أخرى، ومن الصعب أن يخطط المرء على أساس حادثة استثنائية وفريدة[٢].

وهكذا جندت إسرائيل الغرب مدفوعاً من الشتات اليهودي، بدعوى الهولوكوست لدعمها مادياً وعسكرياً، ومساعدتها في إنشاء السلاح النووى على أيدى علماء من ألمانيا وفرنسا، وبمباركة من الولايات المتحدة الأمريكية التى تقدم لها الدعم السياسى لإبعاد التفتيش النووى عليها، والصمت إزاء نازيتها ووحشيتها في معاملة الفلسطينيين، بدعوى الخوف من تكرار الهولوكوست، وتعرض إسرائيل للدمار.

(١)المرجع السابق، ص١٨٠- ١٨١.

(٢)المسيرى، عبد الوهاب (دكتور): موسوعة اليهود واليهودية، المرجع السابق، ص٤٣٥- ٤٣٦.